ظهر الفساد في البر والبحر

يقول الله تعالى في سورة الروم:{ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}﴿٤١﴾.

{ظَهَرَ} وبان وأصبح واضحا وجليا{ الْفَسَادُ} كالجدب وقلة وشح الأمطار ونزول كثيرا منها في البحار بدل أن ينزل لمصلحة الناس على الأرض الخصبة وعلى الجبال، وصعوبة الحصول على الرزق من البر والبحر، وظهور وتفشي كثير من الأمراض والأوبئة الجسدية والنفسية والعقلية الجرثومية والفيروسية، والخلل في وظائف الأعضاء، وذهاب بركة الوقت وسرعة مرور الأيام والأشهر والسنين، ونزول الصواعق والأعاصير والزلازل والبراكين وحوادث الطرق من السيارات والقطارات والسفن والطائرات{ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} وما هي إلّا جزاءات وعقوبات من الله تعالى، ولا يكون شيء في الكون إلّا بإذن الله ومشيئته، وسبب هذه الجزاءات والعقوبات{ بِمَا كَسَبَتْ} أي بسبب ما كسبت{ أَيْدِي النَّاسِ} من الزيادة المضطردة في الجريمة بأشكالها الأخلاقية والالكترونية والاقتصادية والجنسية والسياسية الاجتماعية، وأصناف من الاحتراف الإجرامي في مجالات كثيرة، والترويج للكفر والإلحاد والفجور والتعري والتشريعات الباطلة التي تتزعمها الأمم المتحدة من إباحيات كالزنا واللواط والشذوذ الجنسي لتحقيق الملذات والشهوات المحرمة بكل أشكالها وبما لا يخطر على قلب بشر، وانتشار السحر

والشعوذة، وعُبد كل شيء حتى عبد الشيطان، وانحراف التعليم عن المبادئ والمفاهيم والقيم الربانية التي تزكي المجتمعات بمراقبة الله تعالى في النيّات والأقوال والأفعال، إلى التعليم المادي البحت وقَصرِهِ على تحقيق المصالح الدنيوية، حتى أصبح همّ الإنسان التكاثر والانغماس في الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل والأنعام والحرث، وزاد الطين بلّة ترك الكثير من النّاس وبعض أهل الدين والصلاح والإيمان واجبهم الديني والاجتماعي نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لتقليل ذلك الفساد المصطنع وتلك الخروقات لشرائع الله تعالى والذي يترتب عليه جزاءات وعقوبات جسيمة لما جاء في مسند الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان ﷺ أن النبيّ ﷺ قال:{ والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهوّن عن المنكر أو ليبعثن عليكم قوما، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"، وعقوبات أخرى كما هو الحال كوباء كرونا وغيره لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمانِ ﷺ عن النبيّ ﷺ قال:{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ ولَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ فَتَدْعُونَهُ فَلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ} وقد شبّه الرسول ﷺ الحياة بالسفينة التي تحمل مختلف أجناس النّاس بمختلف معتقداتهم وتوجهاتهم، وبيّن وجوب النهي عن الفساد وكل ما يتعارض مع شرائع الله تعالى لضمان سلامة وأمن المجتمع لما ورد في صحيح الإمام البخاري عن النعمان بن بشير ﷺ عن النّبيّ ﷺ قال: مثل القائم على حدود الله والواقع فيها،

كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا.

فأظهر الله تعالى الفساد في البر والبحر بسبب ما كسبت أيدي النّاس من معاصي وأنزل العقوبات والجزاءات{ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا} وليس كل الذي عملوا تصديقا لقوله تعالى في سورة الشورى:{ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}﴿٣٠﴾ فسنن الله تعالى الخالدة لا تتخلف عن أحد كما قال تعالى في سورة طه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً} شديدة قاسية في الدنيا{ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}﴿١٢٤﴾ ولقوله تعالى في سورة الرعد:{... وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}﴿٣١﴾ وقد تسبق العقوبة النِّية بالمعصية في الدنيا كما حصل لإصحاب الجنّة كما قال تعالى في سورة القلم:{ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ}﴿٢٠﴾ والغاية من تلك العقوبات والجزاءات

في الدنيا كما قال تعالى:{ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} إلى دين الله تعالى وهديه وشرعه ويتوبون ويستغفرون ويتضرّعون كما قال تعالى في سورة الأنعام:{ وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ}﴿٤٢﴾ ليصلح الله تعالى أحوالهم وتستقيم أمورهم في الدنيا كما قال تعالى في سورة الأعراف:{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}﴿٩٦﴾ فلترجع البشرية إلى هدي ربها ليفتح الله عزّ وجلّ لهم بركات السماء والأرض لتسعد البشرية من جديد وما ذلك على الله بعزيز ، وما جائحة كرونا ببعيد، وما أزمة مصر والسودان وأثيوبيا بعد بنائها السد وتخوفت من ملئه مصر والسودان وتوجهوا إلى الأمم المتحدة لتقاسم مياه النيل، والخوف من شح المياه، وبدأت أثيوبيا بملء السد ومنع الماء عن مصر والسودان وكان الأولى لهم أن يتوجهوا إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار أولا لحل أزمتهم بدل التوجه إلى الأمم المتحدة، ولكن استكبروا فأتى الله تعالى بالفيضانات التي أغرقت القرى وخافت مصر من امتلاء السد العالي، وكان الأولى أن يفروا إلى الله.

فؤاد محمود آل محمود